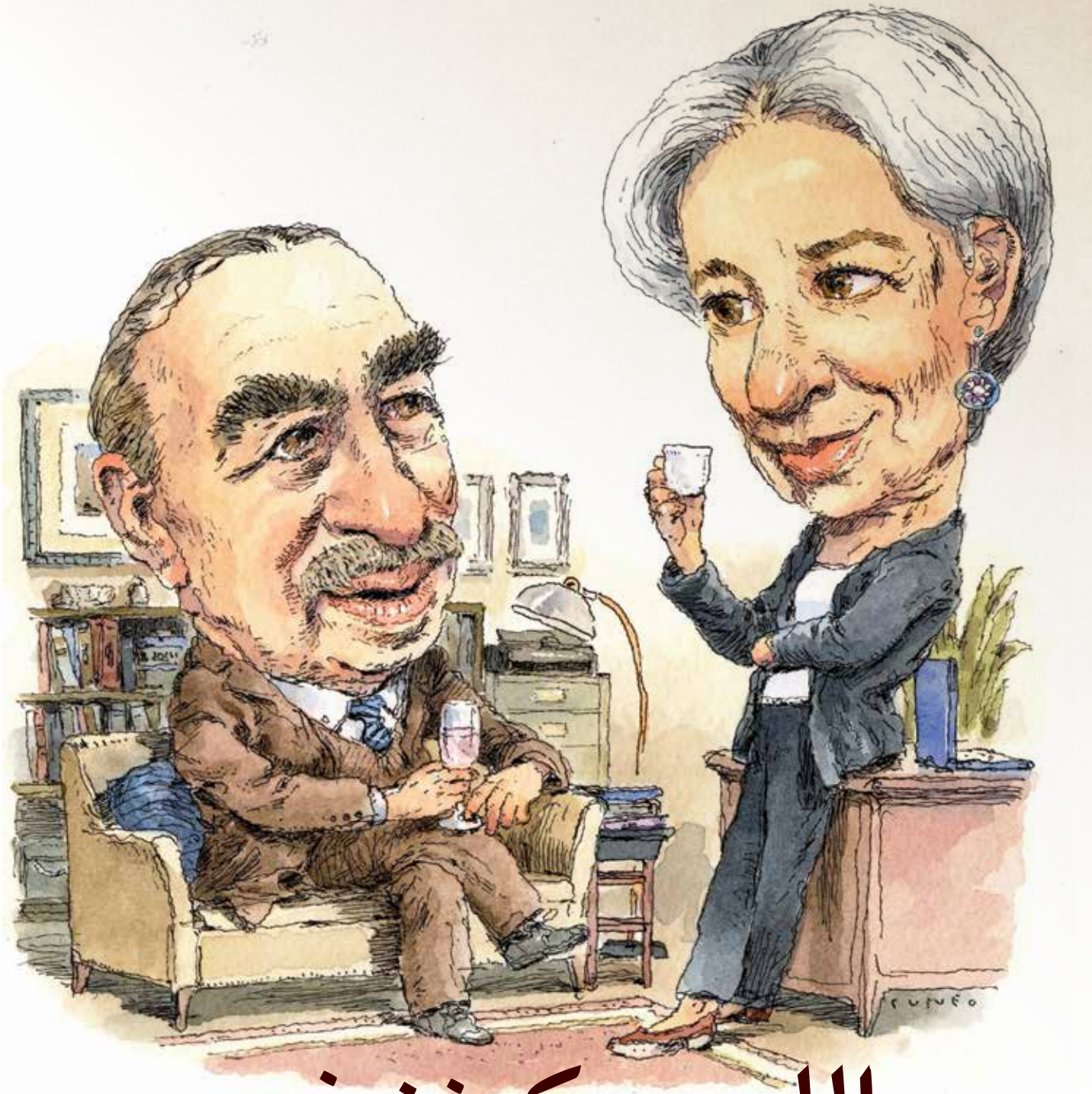

اللورد كينز في زيارة للصندوق

شخصية بارزة من الماضي تزور الصندوق في عيده الخامس والسبعين

أتيش آر. غوش

الرسم التوضيحي: JOHN CUNEO; ISTOCK/MOLLYPIX

«**بطاقة هويتك. يجب أن أرى بطاقة هويتك**».

أمام نظرات حائرة من سيد مسن يرتدي بدلة أنيقة من ثلاث قطع ورابطة عنق مخططة، تنهد الحارس بعمق سائلا إياه «من أنت؟ وما اسمك؟»

«كينز. جون مينارد كينز. اللورد كينز».

«سيدي، لا آبه إذا كنت سيد الخواتم. ما زلت أحتاج إلى رؤية بطاقة هويتك قبل أن أسمح لك بالدخول إلى المبنى».

دخل موظف مجهول الاسم، مندفعا، متأخرا عن عمله، ثم توقف بغتة، واستدار بوجهه. إنه كينز! فقد عرف وجهه من التمثال النصفي المصنوع من البرونز الذي يقبع في قاعة اجتماعات المجلس التنفيذي. «معذرة»، قالها مبرزا بطاقة هويته للحارس، «سأتولى أمر هذا السيد».

نادى عليهما الحارس قائلا «تأكد من حصوله على تصريح دخول الزوار».

ودخلا معا إلى المقر الرئيسي للصندوق. «لورد كينز، هلا تفضلت بالجلوس قليلا لحين ...»

«ألم تكونوا تتوقعون حضوري؟ ألم يصلكم تلغراف مني؟»

«أخشى أننا لم نتلقه. دعني أهاتف مكتب المدير العام. أثق أنهم سيتفهمون الأمر».

جلس كينز على مقعد جلدي صلب متمتما «حسنا، لقد تأخرت قليلا. فالقطارات الأمريكية لا تصل في موعدها أبدا كما تعلم...»، وبدا أنه مندهش قليلا من الأعلام التي تزين الردهة.

مضت عشرون دقيقة قبل أن يعاود الموظف الظهور قائلا «المدير العام يسعده مقابلتك الآن».

«هذا لطف بالغ منه ... ما اسمه؟»

«لاغارد. كريستين لاغارد».

«سيدة؟ سيدة فرنسية؟»

أومأ المسؤول برأسه.

«حسنا، أعتقد أن المنصب الثاني من نصيبنا إذن؟»

«النائب الأول للمدير العام أمريكي الجنسية. إنه السيد ديفيد ليبتون».

«نعم، بالطبع، الأمريكيون. ولكن من المؤكد أن المنصب الثالث من نصيبنا؟ فبريطانيا العظمى تمتلك ثاني أكبر حصة عضوية في الصندوق.[1] أعرف ذلك: فقد تفاوضت على الأمر بنفسي».

في إشارة تنم عن الاعتذار، سعل الموظف قائلا «في الواقع، تمتلك اليابان حاليا ثاني أكبر حصة في الصندوق، وتليها الصين ثم ألمانيا»، وأردف قائلا بلهجة مواسية «المملكة المتحدة تمتلك خامس أكبر حصة — بالتساوي مع فرنسا».

كان كينز يحاول استيعاب المعلومة بينما يقوده الموظف إلى مكتب المدير العام.

«اللورد كينز، يا له من شرف أن أحظى بمقابلتك».

«الشرف لي، سيدتي».

«أنا آسفة للغاية، لم يسعني الترتيب لاستقبالك بشكل أفضل. ولكننا في الحقيقة لم نكن نتوقع...»

ابتسم كينز ابتسامة بسيطة. «أعلم ذلك. فقد مضت فترة لا بأس بها على وجودي في «المدى الطويل».[2] ولكنني لم أستطع مقاومة رغبتي في زيارة الصندوق اليوم في عيده الخامس والسبعين».

أجلسته لاغارد على أريكة وثيرة، واتجهت إلى ماكينة القهوة في مكتبها، وبدأت في إعداد قدحين.

قال كينز «أخبريني إذن. هل نجح الصندوق؟ وماذا حدث طوال هذه الفترة؟ أعرف أن بعض التغيرات قد طرأت منذ انعقاد المؤتمر».

أجابت لاغارد قائلة «لا أعرف من أين أبدأ. فقد تغير الكثير».

«ماذا عن اتفاقية التأسيس؟ لقد عملنا جاهدين من أجل التفاوض على أدق تفاصيلها. أعتقد أنها لم تتغير».

«لم تتغير في المجمل، بخلاف تعديلات طفيفة».

«مثل؟»

«كان التعديل الأول بشأن بدء إصدار حقوق السحب الخاصة. وهي نوع من ... حسنا، الأمر معقد. ولكن يمكنك أن تعتبرها عملة افتراضية تستخدم بين البنوك المركزية لتوفير السيولة للنظام النقدي الدولي عند الضرورة. وقد قدم الصندوق تخصيصات ضخمة منها في عام ٢٠٠٩».

«يبدو وكأنك تتحدثين عن عملة بانكور التي كنت قد اقترحتها من قبل!»

ضحكت لاغارد قائلة «نعم، بالطبع. لقد نسيت. لا أحتاج أن أشرح لك آلية عمل حقوق السحب الخاصة إذن. دعني أفكر، ماذا أيضا؟ أعتقد أن التغيير المهم الآخر هو التعديل الثاني الذي أجاز تعويم أسعار الصرف».

«تعويم أسعار الصرف! ولكننا أنشأنا الصندوق خصيصا للحفاظ على استقرار أسعار الصرف بعد الفوضى العارمة التي وقعت خلال الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين».

«لقد انهار نظام أسعار الصرف الثابتة الذي أقرته اتفاقية بريتون وودز في أوائل السبعينات.».

«لماذا لم يغلق الصندوق أبوابه نهائيا إذن؟»

«سرعان ما اكتشف العالم أنه لا يزال في حاجة لنا. فحتى في ظل تعويم أسعار الصرف، يمارس الصندوق رقابة صارمة على سياسات أسعار الصرف في البلدان الأعضاء للتأكد من أنها لا تتلاعب بعملاتها لكسب ميزة تجارية غير عادلة».

«نعم. وهل ينصتون إليكم؟»

ضحكت لاغارد قليلا، واعترفت قائلة «ربما لا ينصتون دائما. فكثيرا ما تشتكي الولايات المتحدة من عدم سماح بلدان الفائض بارتفاع قيم عملاتها — دائما ما كانت توجد هذه المشكلة في ألمانيا واليابان خصوصا، وتوجد مؤخرا في

الصين. حتى أن الصندوق أُتهم منذ سنوت قليلة بأنه «غير واع» لمسؤولياته الأساسية في المجال الرقابي».[٣]

«لقد أخبرت هاري دكستر وايت وقتها بأنه يقف حائلا دون قدرة الصندوق على إرغام بلدان الفائض على إجراء التصحيحات اللازمة — لقد رغبت في فرض عقوبات متسقة على بلدان الفائض والعجز كما تعلمين. ولكن وايت ورفاقه في الخزانة الأمريكية عارضوا الأمر بشدة. وقد حذرت وايت من أن الولايات المتحدة لن تظل في مصاف بلدان الفائض دائما، وأنه سيندم حينها. ودائما ما كان يقول «لا يهم — فالولايات المتحدة ستظل دائما رائدة التجارة الحرة»، أفترض أن الوضع لا يزال كما هو، أليس كذلك؟»

بابتسامة لا تخلو من الجدية، أجابت لاغارد قائلة «نعم، تقريبا».

«لم تعد البنوك المركزية تتدخل إذن في أسواق الصرف الأجنبي؟»

«لا. ما دامت تطبق أسعار صرف معومة، لا يجدر بها التدخل إلا في حالة عدم انضباط الأسواق».

«أليست الأسواق دائما ما تفتقر إلى الانضباط؟»

نهضت لاغارد إلى الماكينة لتجلب أقداح القهوة، ولكنها غيرت رأيها فجأة. واتجهت بدلا من ذلك إلى ثلاجة صغيرة تستتر داخل لوح خشبي في الحائط، وأخرجت منها زجاجة شمبانيا من نوع لا غراند دام.

قال كينز ضاحكا «اختيار مناسب للغاية. لابد أنك تعرفين عني الشيء الوحيد الذي ندمت عليه في الحياة ...»[٤] ونهض متجها إلى لاغارد.

ابتسمت لاغارد، وأعطته كأسا من الشمبانيا قائلة «وجدت هذه الزجاجة في الثلاجة عندما أتيت للمرة الأولى. وكنت أدخرها لمناسبة خاصة للغاية. وأعتقد أن الوقت قد حان لاستخدامها اليوم».

ورفعا كأسيهما احتفالا بهذه المناسبة. ثم عاد كينز إلى مقعده، وقال «أخبريني إلى أي مدى نجحت فكرة عملة البانكور التي اقترحتها؟ ماذا سميتموها؟ حقوق السحب الخاصة؟ وتحدثت أيضا عن إجراء توزيع ضخم منذ سنوات قليلة. لم كان ذلك؟»

نظرت إليه لاغارد باستغراب، ثم قالت «بالطبع. ليست لديك فكرة عن الأزمة المالية العالمية».

«بالطبع لا! هل واجهنا حقبة جديدة من الكساد الكبير؟»

«لا، ولكننا واجهنا أزمة مالية كبيرة منذ عشر سنوات كان من الممكن أن تتحول إلى كساد كبير. ولكننا تعلمنا من نظرياتك لحسن الحظ. فقد دعا الصندوق إلى إتاحة محفزات مالية فورية في جميع الاقتصادات الكبرى، واتخاذ إجراءات تيسيرية واسعة النطاق على مستوى السياسة النقدية».

«وهل انتهت فترة الركود؟»

«تقريبا. ولكن الاقتصاد العالمي غير مستقر إلى حد ما منذ ذلك الحين».

«ولكن هل نجحت المحفزات المالية في تحقيق الأثر المرجو منها؟»

«نعم. لقد نجحت للغاية. ولكن بعض الحكومات أفرطت في الإنفاق، مما أدى إلى ارتفاع حاد في مستويات الدين».

«وماذا عن التيسير النقدي؟»

«كان أمرا ضروريا».

«ولكن ألم يؤد إلى تدفق الأموال الجوالة؟ أم أن إدارة التدفقات الرأسمالية قد أصبحت أفضل كثيرا في الوقت الحالي على ما أعتقد؟»

رفعت لاغارد كتفيها في حيرة قائلة «استقبلت الاقتصادات النامية واقتصادات الأسواق الصاعدة تدفقات كبيرة. وارتفعت ديون الشركات بالدولار الأمريكي في تلك البلدان إلى مستويات خطرة».

رد كينز قائلا «ينبغي السماح لرأس المال المنتج بالتدفق إلى البلدان التي يمكن فيها استخدامه على النحو الأمثل. ولكن تدفقات الأموال الجوالة التي لا تخضع لأي قيود ...» ثم هز رأسه في قلق، واستطرد قائلا «كان هناك اتفاق تام بيني وبين وايت على هذه النقطة وقت صياغة اتفاقية التأسيس، ولكن ما إن اطلعت بنوك نيويورك على مسودة الاتفاقية، حتى انتهى كل شيء بعدها.[٥] كان ذلك قبل سنوات قليلة على أي حال. ما المشكلات التي يتعامل معها الصندوق في الوقت الحالي؟»

أجابت لاغارد قائلة «الكثير من المشكلات. فكما قلت لك، لا يزال الاقتصاد العالمي غير مستقر بالرغم من مضي ١٠ سنوات على وقوع الأزمة. علاوة على ذلك، توجد طائفة من القضايا الجديدة التي نتعامل معها في الوقت الحالي: عدم المساواة في الدخل، وزيادة المساواة بين الجنسين، وتغير المناخ العالمي».

«تغير المناخ؟ تقصدين الطقس؟ كيف يمكن أن يتغير المناخ؟»

«ينتج العالم آلاف الأطنان من ثاني أوكسيد الكربون سنويا، إلى جانب ملوثات أخرى، مما أدى إلى ارتفاع متوسط درجات الحرارة، وذوبان القمم الجليدية، وارتفاع مستويات البحار...»

رد كينز قائلا «يا إلهي. يبدو الأمر مروعا. ولكن ما علاقة ذلك بالصندوق؟»

شرحت لاغارد الأمر لكينز. وكانت على وشك الانتهاء عندما سمعت دقات خافتة وأطلت مساعدتها برأسها من وراء الباب قائلة «سيدة لاغارد، المجلس على وشك الانعقاد برئاستك خلال دقائق قليلة».

تنهدت لاغارد قائلة «اجتماع آخر؟ حسنا، سأذهب في الحال».

بابتسامة مرتسمة أسفل شاربه، نهض كينز قائلا «كنت أقول دائما إن الصندوق ينبغي أن يكون له مجلس غير مقيم».

سألته لاغارد وهي على وشك الخروج «ما رأيك في قضاء بقية اليوم في الصندوق؟ ستكون مساعدتي في رفقتك، ويمكنك أن تتفقد بنفسك أحوال الصندوق. ولكن يجب أن تأتي لرؤيتي قبل أن تغادر».

* * *

كان الغسق قد بدأ يدلي بخيوطه في سماء ليلة صيفية وضيئة في واشنطن عندما عاد كينز إلى مكتب المدير العام.

سألته لاغارد قائلة «إذن، ما رأيك؟»

«يبدو لي أن كل شيء قد تغير. في عصري، كانت هناك ثلاثة ثوابت: الطقس، ونصيب العمالة من الدخل القومي،[٦] و — يؤسفني أن أقول ذلك — وضع المرأة في المجتمع.[٧] ولكن العالم في حالة تغير مستمر الآن. وفي الوقت نفسه، يبقى الوضع كما هو عليه. فالصندوق لا يزال في حاجة إلى مساعدة البلدان على التكيف مع مشكلات ميزان المدفوعات دون «اللجوء إلى تدابير ضارة بالرخاء في الداخل أو الخارج»، ولا يزال يتعين عليه المساعدة على تحقيق المساواة في توزيع أعباء التصحيح بين بلدان الفائض والعجز، وإدارة التدفقات الرأسمالية المتقلبة بين بلدان المصدر والبلدان المتلقية. ولا يزال عليه أيضا تنظيم السيولة العالمية من وقت لآخر. الشيء الوحيد الذي تغير هو طبيعة الصدمات والمشكلات التي تواجه البلدان. لكن المهمة الأساسية للصندوق تظل كما هي — مساعدة البلدان الأعضاء على مواجهة هذه المشكلات. فالإنجاز الحقيقي الذي حققناه في بريتون وودز لا يكمن في إنشاء نظام للقيم الاسمية وتثبيت القيم العادلة للعملات، بل في إنشاء مؤسسة تستطيع —وستنجح حتما في — التأقلم من أجل خدمة أعضائها».

أجابت لاغارد قائلة «بالضبط». «هيا سأرافقك للخارج».

واستقلا المصعد في سكون منشغلين بأفكارهما.

ثم سألته لاغارد أثناء مرافقته إلى الباب قائلة «هل من ملاحظات أخرى؟»

أجاب كينز «نعم. عندما أرى رجالا — ونساء — من كل عرق وجنسية ومذهب يعملون معا من أجل الصالح العام، أعرف يقينا أن الصندوق في أيد أمينة.[٨] ثم ابتسم واستطرد قائلا «وعندما يكون الصندوق في أيد أمينة، يكون العالم في أيد أمينة».

أومأ كينز برأسه إيماءة بسيطة، واستدار، ثم سار بعيدا حتى اختفى عن الأنظار في شارع ١٩، شمال غرب واشنطن العاصمة. FD

أتيش غوش، مؤرخ بصندوق النقد الدولي.

المراجع:

Adams, Timothy. 2005. "The IMF: Back to Basics." Speech delivered at the Peterson Institute for International Economics, September 23.

Council of Kings College. 1949. *John Maynard Keynes, 1883–1946, Fellow and Bursar: A Memoir.* Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Ghosh, Atish R., Jonathan D. Ostry, and Mahvash S. Qureshi. 2019. *Taming the Tide of Capital Flows.* Cambridge, MA: MIT Press.

Helleiner, Eric. 1994. *States and the Re-emergence of International Finance: From Bretton Woods to the 1990s.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Keynes, John M. 1924. *A Tract on Monetary Reform.* London: Macmillan.

———. 1939. "Relative Movements of Real Wages and Output." *Economic Journal* 49 (193): 34–51.

ملحوظات:

[١] شعور كينز بالاندهاش أمر مفهوم. فحتى وقت المراجعة التاسعة لحصص العضوية (١٩٩٠)، كانت ثاني أكبر حصة عضوية من نصيب المملكة المتحدة، لتأتي بذلك في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٤٧، كانت حصص العضوية الخمس الكبرى من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية (٣١,٦٨٪)، والمملكة المتحدة (١٥,١٢٪)، والصين (٦,٥٦٪)، وفرنسا (٦,٢٨٪)، والهند (٤,٨٥٪).

[٢] يُعرف عن كينز(١٩٢٣–صفحة ٨٠) قوله الشهير «في المدى الطويل، سنكون جميعا في عداد الأموات».

[٣] دراسة Adams (2005).

[٤] نُقل عن كينز قوله في إحدى المرات إن الشيء الوحيد الذي ندم عليه هو عدم احتسائه لمزيد من الشمبانيا (Council of Kings College 1949, 37).

[٥] راجع دراسة Helleiner (1994)، والفصل الثاني من دراسة Ghosh, Ostry, and Qureshi (2019).

[٦] اعتبر كينز (Keynes 1939) أن استقرار مستويات نصيب العمالة من الدخل القومي يعد «إحدى أكثر الحقائق المثيرة للدهشة والثابتة في جميع الإحصاءات الاقتصادية». ولكن منذ الثمانينات، أخذ نصيب العمالة في التراجع في معظم الاقتصادات المتقدمة.

[٧] كان كينز داعما قويا لحقوق المرأة، وتولى منصب نائب رئيس جمعية ماري ستوبس في عام ١٩٣٢.

[٨] في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٦، وقبل اعتماد حكومات البلدان الأعضاء لقوانين مماثلة بفترة طويلة، أقر المجلس التنفيذي للصندوق القاعدة رقم ١: يتم تعيين موظفي الصندوق وتصنيفهم وترقيتهم وتكليفهم دون التمييز ضد أي شخص على أساس نوع الجنس أو العرق أو العقيدة.